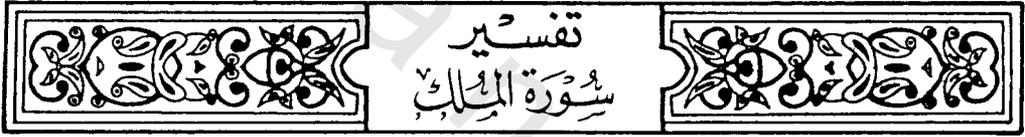


أَبْنِي لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ ﴿ قَالَتِ الْعُلَمَاءُ: اخْتَارَتِ الْجَارَ قَبْلَ الدَّارِ ﴿ وَبِحَنِّي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ ﴾ أَي خَلَصَنِي مِنْهُ، فَإِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِنْ عَمَلِهِ ﴿ وَبِحَنِّي مِنَ الْقَوْرِ الظَّالِمِينَ ﴾ وَهَذِهِ الْمَرْأَةُ هِيَ آسِيَةُ بِنْتُ مَزَاحِمَ .

﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِنِينَ ﴿١٢﴾ ﴾

﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا ﴾ أَي حَفِظَتْهُ وَصَانَتْهُ، وَالْإِحْصَانُ هُوَ الْعِفَافُ وَالْحَرِيَّةُ ﴿ فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا ﴾ أَي بِوَسْطَةِ الْمَلِكِ، وَهُوَ جَبْرِيْلُ، فَإِنَّ اللَّهَ بَعَثَهُ إِلَيْهَا فَمَثَلَتْ لَهَا فِي صُورَةِ بَشَرٍ سَوِيٍّ، وَأَمَرَ اللَّهَ أَنْ يَنْفِخَ فِيهِ فِي جَيْبِ دَرْعِهَا، فَنَزَلَتِ النَّفْخَةُ فَوَلَجَتْ فِي فَرْجِهَا، فَكَانَ مِنْهُ الْحَمْلُ بِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا ﴾ أَي بِقَدْرِهِ وَشَرَعَهُ ﴿ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِنِينَ ﴾ وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِينَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «كَمَلَ مِنْ رُجَالٍ كَثِيرٍ، وَلَمْ يَكْمَلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا آسِيَةُ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ، وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَإِنْ فَضِلَ عَائِشَةُ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضَلَ الثَّرِيدُ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ» .



رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنْ سُورَةٌ فِي الْقُرْآنِ ثَلَاثُونَ آيَةً شَفَعَتْ لِصَاحِبِهَا حَتَّى غُفِرَ لَهُ: تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمَلِكُ» وَرَوَاهُ أَهْلُ السُّنَنِ الْأَرْبَعَةُ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾

بِمَجْدِ تَعَالَى نَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ، وَيُخْبِرُ أَنَّهُ بِيَدِهِ الْمَلِكُ، أَي هُوَ الْمَتَّصِرُ فِي جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ بِمَا يَشَاءُ، لَا مَعْقَبَ لِحُكْمِهِ، وَلَا يَسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ، لِقَهْرِهِ وَحُكْمَتِهِ وَعَدْلِهِ، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾ ﴾

﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ ﴾ اسْتَدَلَّ بِهَذِهِ الْآيَةِ مِنْ قَالَ: إِنْ الْمَوْتُ أَمْرٌ وَجُودِيٌّ، لِأَنَّهُ مَخْلُوقٌ، وَمَعْنَى الْآيَةِ أَنَّهُ أَوْجَدَ الْخَلَائِقَ مِنَ الْعَدَمِ لِيَبْلُوَهُمْ، أَي لِيُخْتَبِرَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ﴾ [البقرة: 28] فَسَمِيَ الْحَالُ الْأَوَّلُ، وَهُوَ الْعَدَمُ مَوْتًا، وَسَمِيَ

هذه النشأة حياة، ولهذا قال: ﴿ثُمَّ يُبَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [البقرة: 28] روى ابن أبي حاتم: كان رسول الله ﷺ يقول: «إن الله أذل بني آدم بالموت، وجعل الدنيا دار حياة، ثم دار موت، وجعل الآخرة دار جزاء، ثم دار بقاء». ﴿يَلْبَسُكُمْ أَكْبَرُ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ أي خير عملاً، ولم يقل: أكثر عملاً ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ أي هو العزيز العظيم المنيع الجنب، وهو مع ذلك غفور لمن تاب وأناب بعدما عصاه وخالف أمره، وإن كان تعالى عزيزاً هو مع ذلك يغفر ويرحم ويصفح ويتجاوز.

﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفْوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ

فُطُورٍ ﴿٣﴾﴾

﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا﴾ أي طبقة بعد طبقة، وهل هن متواصلات بمعنى أمنهن علويات بعضهم على بعض، أو متفاضلات، بينهم خلاء؟ فيه قولان، أصحهما الثاني، كما دل على ذلك حديث الإسراء. ﴿مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفْوُتٍ﴾ ليس فيه اختلاف ولا تنافر، ولا مخالفة، ولا نقص، ولا عيب، ولا خلل، ولهذا قال تعالى: ﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾ أي انظر إلى السماء فتأملها هل ترى فيها عيباً أو نقصاً أو خللاً أو فطوراً، أو شقوقاً.

﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرِّيحٍ يَنفُلِبَ إِلَيْكَ الْبَصَرُ حَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾﴾

﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرِّيحٍ﴾ مرتين ﴿يَنفُلِبَ إِلَيْكَ الْبَصَرُ حَاسِئًا﴾ ذليلاً صاغراً ﴿وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ وهو كليل، من الإعياء، ومعنى الآية أنك لو كررت البصر مهما كررت لرجع إليك البصر ﴿حَاسِئًا﴾ عن أن يرى عيباً أو خللاً.

﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴿٥﴾﴾

﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾ وهي الكواكب التي وضعت فيها من السيارات والثوابت ﴿وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾ عاد الضمير في قوله: ﴿وَجَعَلْنَاهَا﴾ على جنس المصابيح، لا على عينها، لأنه لا يرمى بالكواكب التي في السماء، بل بشهب من دونها، وقد تكون مستمدة منها. والله أعلم ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ أي جعلنا للشياطين هذا الخزي في الدنيا، وأعدنا لهم عذاب السعير في الآخرة.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَسَاءَ الْمَصِيرُ ﴿٦﴾﴾

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَسَاءَ الْمَصِيرُ ﴿٦﴾﴾ أي بس المال والمنقلب.

﴿إِذَا الْقُلُوبُ فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورٌ ﴿٧﴾﴾

﴿إِذَا الْقُلُوبُ فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا﴾ يعني الصباح ﴿وَهِيَ تَفُورٌ﴾ تغلي بهم كما يغلي الحب القليل في الماء الكثير.

﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْعَظِيمِ كُلَّمَا أَلْقَى فِيهَا فَوْجٌ سَأَلْتُمْ خَزَنَتَهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ (٨)

﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْعَظِيمِ﴾ أي يكاد ينفصل بعضها عن بعض من شدة غيظها عليهم وحقها بهم ﴿كُلَّمَا أَلْقَى فِيهَا فَوْجٌ سَأَلْتُمْ خَزَنَتَهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾.

﴿قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾ (٩)

يذكر تعالى عدله في خلقه، وأنه لا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه، وإرسال الرسول إليه، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ تَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: 15].

﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ (١٠)

﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ أي لو كانت لنا عقول ننتفع بها، أو نسمع ما أنزله الله من الحق، لما كنا على ما كنا عليه من الكفر بالله، والاعتزاز به، ولكن لم يكن لنا فهم نعي به ما جاءت به الرسل، ولا كان لنا عقل يرشدنا إلى اتباعهم.

﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ (١١)

﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ روى الإمام أحمد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لن يهلك الناس حتى يعذبوا من أنفسهم» وفي حديث آخر «لا يدخل أحد النار إلا وهو يعلم أن النار أولى به من الجنة».

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ (١٢)

يقول تعالى مخبراً عمن يخاف مقام ربه فيما بينه وبينه إذا كان غائباً عن الناس، فينكف عن المعاصي، ويقوم بالطاعات حيث لا يراه أحد إلا الله تعالى بأنه له مغفرة وأجر كبير، أي تكفر عنه ذنوبه، ويجازى بالثواب الجزيل، كما ثبت في الصحيحين: «سبعة يظلهم الله تعالى في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله» فذكر منهم رجلاً دعت امرأته ذات منصب وجمال فقال: «إني أخاف الله»، ورجلاً تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا يعلم شماله ما تنفق يمينه». وروى الحافظ أبو بكر البزار في مسنده عن أنس، قال: قالوا: يا رسول الله، إنا نكون عندك على حال، فإذا فارقتك، كنا على غيره، قال: كيف أنتم وربكم؟ قالوا: الله ربنا في السر والعلانية، قال: «ليس ذلكم النفاق».

﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (١٣)

﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ أي بما يخطر في القلوب.

﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (١٤)

﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ أي ألا يعلم الخالق، وقيل: معناه ألا يعلم الخالق مخلوقه؟ والأول أولى، لقوله: ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾.

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾

ثم ذكر نعمته على خلقه في تسخيره لهم الأرض، وتذليله إياها لهم، بأنه جعلها قارة ساكنة، لا تميد ولا تضطرب بما جعل فيها من الجبال، وأنبع فيها من العيون، وسلك فيها من السبل، وهياً فيها من المنافع، ومواضع الزروع والثمار، فقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾ أي فسافروا حيث شئتم من أقطارها وترددوا في أقاليمها وأرجائها في أنواع المكاسب والتجارات، واعلموا أن سعيكم لا يجدي عليكم شيئاً إلا أن يسره الله لكم، ولهذا قال: ﴿وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ﴾ فالسعي في السبب لا ينافي التوكل. روى الإمام أحمد عن رسول الله ﷺ «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصاً، وتروح بطاناً» رواه الترمذي والنسائي، وابن ماجه ﴿وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ أي المرجع يوم القيامة. ﴿فِي مَنَاكِبِهَا﴾ هي الجبال. روى ابن أبي حاتم أنه قرأ هذه الآية ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾ فقال لأم ولد له: إن علمت ما مناكبها؟ فأنت عتيقة، فقالت: هي الجبال، فسأل أبا الدرداء، فقال: هي الجبال.

﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مَّن فِي السَّمَاءِ أَنْ يُخْضِبَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾﴾

وهذا أيضاً من لطفه ورحمته بخلقه أنه قادر على تعذيبهم بسبب كفر بعضهم به، وعبادتهم معه غيره، وهو مع هذا يحلم ويصفح، ويؤجل، ولا يعجل كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّتٍ وَلَئِنْ بُوْخِرْتُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَأَبَرَّ اللَّهُ كَأَن يَبْعَادِهِ بِصِيرًا ﴿١٥﴾﴾ [فاطر: 45] وقال ههنا: ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مَّن فِي السَّمَاءِ أَنْ يُخْضِبَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾﴾ أي تذهب وتجيء وتضطرب.

﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مَّن فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾﴾

﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مَّن فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ أي ريحاً فيها حصباء تدفعكم، كما قال تعالى: ﴿أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يُخْضِبَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا يَجِدُوا لَكُمْ وُكَيْلًا ﴿١٧﴾﴾ [الإسراء: 68]، وهكذا توعدهم ههنا بقوله: ﴿فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾ أي كيف يكون إنذارى وعاقبة من تخلف عنه وكذب به.

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾﴾

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي من الأمم السالفة، والقرون الخالية ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ أي فكيف كان إنكارى عليهم، ومعاقبتي لهم، أي عظيماً شديداً.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفْوَتٍ وَيَقِظْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾﴾

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفْوَتٍ وَيَقِظْنَ﴾ أي تارة يصففن أجنحتهن في الهواء، وتارة تجمع جناحاً،

وتنشر جناحاً ﴿مَا يُمَسِّكُهُنَّ﴾ أي في الجو ﴿إِلَّا الرَّحْمَنُ﴾ أي بما سخر لهن من الهواء من رحمته ولطفه ﴿إِنَّهُ يَكُلُّ شَيْءٍ بَصِيرًا﴾ أي بما يصلح كل شيء من مخلوقاته، وهذه كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوْ السَّمَاءِ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: 79].

﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَّكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِّنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾ ﴿٢٠﴾

يقول تعالى للمشركين الذين عبدوا معه غيره يبتغون عندهم نصراً ورزقاً منكراً عليهم فيما اعتقدوه، ومخبراً لهم أنه لا يحصل لهم ما أملوه فقال تعالى: ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَّكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِّنْ دُونِ الرَّحْمَنِ﴾ أي ليس لكم من دونه من ولي ولا واثق، ولا ناصر لكم غيره، ولهذا قال تعالى: ﴿إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾.

﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾ ﴿٢١﴾

ثم قال تعالى: ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ﴾ أي من هذا الذي إذا قطع الله عنكم رزقه يرزقكم بعده، أي لا أحد يعطي ويمنع، ويخلق ويرزق، وينصر إلا الله وحده لا شريك له، أي وهم يعلمون ذلك، ومع هذا يعبدون غيره، ولهذا قال: ﴿بَلْ لَجُّوا﴾ أي استمروا في طغيانهم وإفكهم وضلالهم ﴿فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾ أي في معاندة واستكبار ونفور على ادبارهم عن الحق، لا يسمعون له ولا يتبعونه.

﴿أَمَّنْ يَمْشِي مَكْبَأً عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ ﴿٢٢﴾

ثم قال تعالى: ﴿أَمَّنْ يَمْشِي مَكْبَأً عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ وهذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر، فالكافر مثله فيما هو فيه كمثل من يمشي مكباً على وجهه، أي يمشي منحنيًا، لا سستويًا على وجهه، أي لا يدرى أين يسلك، ولا كيف يذهب، بل تائه حائر ضال، أهذا أهدى ﴿أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا﴾ أي متصب القامة ﴿عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ أي على طريق واضح بين، وهو في نفسه مستقيم، وطريقه مستقيمة، هذا مثلهم في الدنيا، وكذلك يكونون في الآخرة، فالمؤمن يحشر يمشي سويًا على صراط مستقيم، يفضي به إلى الجنة الغيما، وأما الكافر فإنه يحشر يمشي على وجهه إلى نار جهنم ﴿أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْجَعَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ [٢٣] من دُونِ اللَّهِ فَأَهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَنَّةِ ﴿٢٤﴾ [الصفوات: 22، 23] أزواجهم: أشباههم. روى الإمام أحمد: قيل: يا رسول الله، كيف يحشر الناس على وجوههم؟ فقال: «أليس الذي أمشاهم على أرجلهم قادراً على أن يمشيهم على وجوههم؟» وهذا الحديث مخرج في الصحيحين.

﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ ﴿٢٣﴾

﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾ أي العقول والادراك ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ أي قلما تستعملون هذه القوى التي أنعم الله بها عليكم في طاعته وامتنال أوامره، وترك مزاجره.

﴿قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾

﴿قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ أي بشكم ونشركم في أقطار الأرض وأرجائها مع اختلاف ألسنتكم في لغاتكم واللوانكم، وحلاكم، وأشكالكم وصوركم ﴿وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ أي تجمعون بعد هذا التفرق والشات يجمعكم كما فرقكم، ويعيدكم كما بدأكم.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾﴾

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾﴾ أي متى يقع هذا الذي تخبرنا بكونه من الاجتماع بعد التفرق.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْلِمُهُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾﴾

﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْلِمُهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي لا يعلم وقت ذلك على التعيين إلا الله عز وجل، لكنه أمرني أن أخبركم أن هذا كائن وواقع لا محالة فاحذروه ﴿وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ أي وإنما علي البلاغ، وقد أدبته إليكم.

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ ﴿٢٧﴾﴾

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي لما قامت القيامة وشاهدها الكفار، ورأوا أن الأمر كان قريباً، لأن كل ما هو آت آت، وإن طال زمنه، فلما وقع ما كذبوا به ساءهم ذلك، لما يعلمون ما لهم هناك من الشر، أي فأحاط بهم ذلك، وجاءهم من أمر الله ما لم يكن لهم في بال ولا حساب ﴿وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٢٧﴾﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٢٨﴾ [الزمر: 47، 48]. ولهذا يقال لهم على وجه التقريع والتوبيخ: ﴿هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ﴾ أي تستعجلون.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾﴾

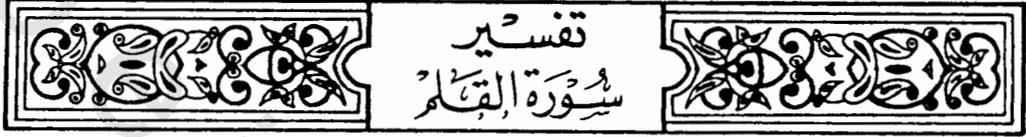
يقول تعالى: ﴿قُلْ﴾ يا محمد لهؤلاء المشركين بالله، الجاحدين لنعمه ﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ أي خلصوا أنفسكم، فإنه لا منقذ لكم من الله إلا التوبة والإنابة والرجوع إلى دينه، ولا ينفعكم وقوع ما تتمنون لنا من العذاب والنكال، فسواء عذبنا الله، أو رحمنا، فلا مناص لكم من نكاله وعذابه الأليم الواقع بكم.

﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ ءَامَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾﴾

﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ ءَامَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾ أي آمنا برب العالمين الرحمن الرحيم، وعليه توكلنا في جميع أمورنا، كما قال تعالى: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [التوبة: 123]، ولهذا قال تعالى: ﴿فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ أي منا ومنكم، ولمن تكون العاقبة في الدنيا والآخرة.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَّعِينٍ ﴿٢٠﴾﴾

ثم قال تعالى إظهاراً للرحمة في خلقه: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا﴾ أي ذاهباً في الأرض إلى أسفل، فلا ينال بالفؤوس الحداد، ولا السواعد الشداد، والغائر عكس النابع، ولهذا قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَّعِينٍ﴾ أي نابع سائح جار على وجه الأرض، أي لا يقدر على ذلك إلا الله عز وجل، فمن فضله وكرمه أنبع لكم المياه، وأجراها في سائر أقطار الأرض بحسب ما يحتاج العباد إليه من القلة، والكثرة، فله الحمد والمنة.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿تَ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾﴾

قد تقدم الكلام على حروف الهجاء في أول سورة البقرة؛ وأن قوله: ﴿تَ﴾ كقوله: ﴿صَ﴾ ﴿تَ﴾ ﴿وَالْقَلَمِ﴾ الظاهر أنه جنس القلم الذي يكتب به، كقوله: ﴿أَقْرَأَ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ فهو قسم منه تعالى، وتبنيه لخلقه على ما أنعم به عليهم من تعليم الكتابة التي بها تنال العلوم. ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ وما يكتبون، أو وما يعملون، أي وما يسطرون يعني الملائكة، وما تكتب من أعمال العباد.

﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾﴾

﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿١﴾﴾ أي لست - والله الحمد - بمجنون كما يقوله الجهلة من قومك المكذبون بما جنتهم به من الهدى والحق المبين فنسبوك فيه إلى الجنون.

﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾﴾

﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾﴾ أي بل إن لك الأجر العظيم، والثواب الجزيل الذي لا ينقطع ولا يبدا على إبلاغك رسالة ربك إلى الخلق، وصبرك على أذاهم. ومعنى غير ممنون: غير مقطوع، كقوله: ﴿عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُوفٍ﴾ [هود: 108] ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [التين: 6] أي غير مقطوع عنهم.

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ وإنك لعلی دین عظیم، وهو الإسلام، أو لعلی أدب عظیم. سئلت عائشة عن خلق رسول الله قالت: كان خلقه القرآن، تقول: كما هو في القرآن، ومعنى هذا أنه عليه